جوابنا على ثبوت الارض

لولا رغبتنا في المسالمة لم نهمل ما ورد علينا ردًّا على رسالة حضرة الارشيمندريتي ولو لم نتيقّن ان ما ادرجناهُ بعد رسالتهِ في الجزء الثامن هو كل ما تحتمله رسالتهُ من الردّ ما تأخرنا عن اجابة الذين طلبوا منا الردّ عليها. وما ادرجناهُ في الجزء العاشر من مقارنة الهيئة بالوارد في النصوص الشرعية لم نطالبهُ من سعادة وزير المعارف في الديار المصرية كما قال حضرة الارشيمندريتي وبلّغنا عن لسانهِ بل انما كان تبرُّعًا من سعادتهِ رغبةً في نشر الحقائق ودحض الاباطيل. فيظهر من ذلك اننا لم نتصرَّف الاَّ بحسب اصول المسالمة واننا نفضّل الفوائد العمومية على صوالحنا الخصوصية ونودُّ ان تكون هذه المرة نهاية المسئلة. واننا ولئن كان قد فرط من حضرتهِ في حقنا ما فرط كسبتهِ ايانا الى الكفر وادعائهِ علينا بتطويح الناس في الاباطيل ومقاومة الاقوال المنزلة فمعاذ الله ان ننسب اليهِ شيئًا من ذلك وحاشا ان نحطَّ من كرامة الشيخوخة اوان ننهج غير منهج الآداب والشرف

ثم اننا لم نرَ لزومًا للتعرض للابحاث العلمية فان حضرتهُ لم يستند هذه المرة الى "الشهادات اللامعة والبراهين الساطعة" التي اشار اليها في ردهِ الاوَّل بل اقتصر على ايراد الآيات المنزلة فرأينا نحن ايضًا ان نخوَ نحوهُ غير متجاوزين حدود جريدتنا ولا متعرّضين لمسئلة مذهبيَّة خلافيَّة فنقول

اوَّلاً. اننا ننكر على حضرتهِ قولهُ ان آيات الكتب المنزلة لا تقبل التفسير ولا التأويل فان ذلك يخالف كل علم وحكم جرى عليهِ انبياء الله ورسلهُ الكرام والعلماء والافاضل العظام ولو لم تكن الكتب المنزلة تحتمل التفسير ما فتح مُنزلها بنفسهِ بابًا للتفسير وذلك لا يخفى عن حضرتهِ ولا عمَّن لهُ معرفة بالكتب المنزلة ولا يحتاج الى تأييد بقولٍ او مثلٍ. اما التاويل فكالتفسير ولعلهُ يتضح مما يأتي. كلٌّ يعلم ان المطر يخار يصعد من الارض ويصير في الجو غيمًا ثم ينزل على الارض نقطًا. وقد جاء في سفر التكوين (ص ٧ ع ١٢) في وصف موسى الكليم للطوفان ان طاقات السماء انفتحت وكان المطر على الارض اربعين يومًا. أفي السماء طاقات اذا فُتحت تنزل المطر واذا أُغلقت انقطع أَوَليس من السحب يتحدَّر المطر وفي تنشأ من مياه الارض. فكيف ينكر حضرتهُ التاويل وماذا عساهُ ان يجيبنا عن ذلك اذا لم يجبنا بان موسى عليهِ السلام انما كلَّم الناس بحسب مفهومهم فانهم كانوا يزعمون ان الجلَد الازرق قبةٌ جامدة فوقها ماء وفيها طاقات فاذا انفتحت تنزل المطر واذا أُغلقت انقطع ولذلك قال موسى النبيُّ ما قالهُ. وقس عليهِ امثالاً أُخرى عديدة لو شئنا سردها لطال بنا المجال واعترى المطالع الملال فكفى بما تقدَّم برهانًا على جواز التاويل في الاقوال المنزلة بما يطابق الواقع. واذا ثبت التاويل

في انفتاح طاقات السماء ونزول المطر منها فما المانع من ثبوته في الآيات التي يوهم ظاهرها بدوران الشمس وثبوت الارض اذ قصد الله لم يكن تعليم شعبه العلم والافلاك بل ان يوحي اليهم مشيئته فالغرض من الكتب المنزلة ان توحى بها مشيئة الله لكل فرد من افراد البشر. أفيوحى ذلك بلسان اهل العلم والفلسفة او باللسان الشائع الذي يفهمه الخاصة والعامة معًا فاذا قبل بالشائع وهو الواجب لم يعد مانع من استعمال كناياته والجري على اصطلاحاته سواء طابقت الواقع او لم تطابقه

ثانيًا. اذا جاز التاويل في النصوص الشرعية وثبت ان غاية الاقوال المنزلة غاية روحية لا تعليم العلم لم تكن آية من جميع الآيات التي وردت حجة على القائلين بثبوت الشمس ودوران الارض واذا لم يسلم المعترضون بجواز التفسير والتاويل حيث لا مانع فكيف يوفق بين الآيات التي اعترض علينا بها: قال حضرة الارشمندريتي انه يتضح من سفر التكوين ان الارض ثابتة والشمس متحركة وان اشعيا وارميا وداود وسليمان وايوب ويشوع قالوا بدوران الشمس وثبوت الارض لقولهم باسط السموات ومؤسس الارض وواضع اعمدتها ومقرر قواعدها ومؤسسها على البحار وغير ذلك مما يؤخذ من ردهم الاوّل في الجزء الثامن. فان كان قول الانبياء الكرام ان الارض مؤسسة على اعمدة وقواعد حقيقة لا مجازًا فكيف يقول ايوب الصديق انه يمدّ الشمال على الخلاء ويعلق الارض على لاشيء كما ذكر حضرته ايضًا. فيظهر من قول ايوب عليه السلام ان الارض غير مؤسسة ولا اعمدة تحتها ويظهر من قول غيره من الانبياء انها مؤسسة على اعمدة والخلاف بينهما ظاهر. فلو حملنا الكلام هنا على الحقيقة لكفرنا بقوله تعالى كما تكفر ان حسبنا قوله شرقت الشمس وغابت مطابقًا للواقع حالة كونه مخالفًا له لان الواقع حقٌ ومن المحال ان نكون من اهل الحق ونحن نسعى في هدم الحقائق. فعلينا بالتروي لئلا نلقي بانفسنا الى ما نحاول الفرار منه. ومن الغريب ان حضرة الارشمندريتي يعترض على دوران الارض بالطوفان بانه لو دارت الارض لم يمكن ان يتم الطوفان عليها ولا ان يغمر الماء وجهها ولم يكتفِ ان ذكرهُ في الردّ الاوّل حتى أبدهُ في ردهِ الثاني ايضًا مع انه لا فرق في الطوفان سواء دارت الارض ام لم تدُر. والظاهر انه بحسب الارض جسمًا لا نهاية له في الكبر ولذلك يستغرب دورانها. واما من اطلع على ابسط مبادئ الجغرافية فيدرك ذلك حقّ الادراك. واغرب من ذلك ان نراهُ يقاوم اهل القرآن في اعتقادهم وبما نعهم التفسير والتاويل بقوله انه ورد في سورة الحجر والارض مددناها والقينا فيها رواسي وفي سورة النحل والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وغير ذلك. فكأنّ الارض اذا التي فيها رواسي تعجز عن الدوران وكأنه يقول ان السفينة لا تجري في الماء لان فيها سواري رواسي او ان الفرس لا يركض لان على متنه فارسًا ثابتًا. فلا حاجة الى التطويل في ذلك لئلا يمل مطالعونا الكرام فان اكثرهم من مذهبنا وليس مذهبنا فقط بل مذهب العالم اجمع ايضًا. غير اننا لا نحب ان ننهي هذه المسئلة ونتخلص من هذه المشكلة قبل

ان نذكر شيئاً مما طرأ على اصحاب هذا المذهب في اثناء نموه وامتداده

ثالثاً . لا يظن حضرة الارشيمندريتي انه اوّل من قاوم هذا المذهب ونسب اهله الى الكفر والضلال فقد قام من قبله كثيرون من اصحاب العلم والاقتدار وصارعوا الحق ازماناً حتى حصحص الحقّ فاذعنوا مصدقين . وقد جاء في تواريخ القدماء وتداولته علماء الهيئة ورواة اخبار العلماء ان ارسترخس الفيلسوف الصاموسي علّم بدوران الارض قبل المسيح ٢٨٠ سنة فاتهموهُ بالكفر وان كليانثس الفيلسوف الاسوسي علّم به بعدهُ بعشرين سنة فاشتكوا عليه بالكفر ايضاً ولم يكن حينئذٍ انجيل ولا قرآن . ولما قام العرب انحاز بعض فلاسفتهم اليه . ولم يزل حيّاً على ضعف زماناً حتى تلاشى ثم احياهُ الفيلسوف كوبرنيكوس فنسب اليه ولذلك اتهمهُ علماء زمانه وارباب الديانة بالهرطقة وحرموا كتابه واضطهدوا الفيلسوف غاليو الشهير اضطهاداً عظيماً لمجرّد اعتقاده به حتى حصحص الحق ثانيةً وزهق الباطل فانقلب المضطهدون من اضطهاد هذا الرأي الى تعليمه والمحاماة عنهُ وتأكدوا عدم مخالفته للكتب المنزلة . وقد جرى عليه علماء المسلمين كما ظهر في الجزء العاشر وسلّمت به كل الطوائف النصرانية حتى طائفة الروم الارثوذوكسيين التي يقول حضرة الارشيمندريتي انه يدافع عن معتقدها في مناقضته له . فلو علم بطاركها وعلماؤها ان حضرته ينفيه عنهم ويحذّر الرعية من الانقياد اليه وينهم اهله بانهم يناقضون الاقوال المنزلة لقابلوهُ بغير الرضى جزاء اتعابه فانهم من اهله وما يقال عن غيرهم يقال عنهم . والشاهد على كون طائفة الروم تعتقد بدوران الارض ان المدرسة المصلبة (في القدس الشريف) التي يتعلم بها شبان هذه الطائفة اللاهوت والعلوم الدينية تعلم به ولا جرم ان ابن اخيه وواعظ كنيسته هنا قد تعلم هذا المذهب فيها فليسأله . وان لم يكفه ذلك حجة عليه فلينظر الى مدارس اثينا وسائر المدارس اليونانية فانها تعلم اولادها هذا التعليم وكل اكليروسها من مطارنة وخوارنة ورهبان يتعلمونه ايضاً ويعلمونه لغيرهم . ولولا ضيق المقام لاوردنا له اقوال رئيس مرصد اثينا في ذلك فانه حجة لا ترد . وان لم يكفه ذلك ايضاً فها مدارس روسيا ومراصدها وعلماءها ومعلميها واكليروسها اجمعين يشهدون معنا ويذهبون مذهبنا وهم حجة قاطعة عليه وكتاباتهم ظاهرة لا مناص منها . وان لم يقنعهُ ذلك كلهُ فليشرفنا ونحن نريه دوران الارض عياناً بتجارب العلماء . فليته قبل ان حذّر اولاد طائفته من آثار الادهار والمنتطف وغيرها تذكّر ان اكثر الكتب العلمية تحوي تلك الاقوال وان علماء طائفته انفسهم يستدونها وان حمل الناس على تركها آفة من آفات المجاج وانه ان نسب اهلها الى الكفر نسب اولاد طائفته اليه ايضاً وان ما قالهُ آثار الادهار ولا يزال المنتطف يقوله انما اقتُطف من ثمار اتعاب اهل العلم والجد السارين في هدى الكتاب ونور الحق والعقل . هذا وانا طلبنا من حضرته غير مرة ارسال الكتابات التي ارسلها الينا فأبى الاّ ادراجها فهو المطالب بها وللمطالع الحكم عليها والله حسبنا ونعم الوكيل